﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المؤمنون: 79]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا ذكَّرهم بهذه النِّعَم التي هي دالَّةٌ على خلقِهم، صرَّح به في هذه الآية فقال ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[1].

خلق النّاس وتناسلهم في الأرضِ دليل على البعثِ يوم القيامةِ

وأيضًا هَذا اسْتِدْلالٌ آخَرُ عَلَى انْفِرادِ اللهِ تَعالَى بِالإلَهيَّةِ إذْ قَدْ عَلِموا أنَّهُ لا شَريكَ لَهُ في الخَلْقِ فكَيْفَ يُشْرِكونَ مَعَهُ في الإلَهيَّةِ أصْنافًا هُمْ يَعْلَمونَ أنَّها لا تَخْلُقُ شَيْئًا، وهوَ أيْضًا اسْتِدْلالٌ عَلَى البَعْثِ لِأنَّ الَّذي أحْيا النّاسَ عَنْ عَدَمٍ قادِرٌ عَلَى إعادَةِ إحْيائِهِمْ بَعْدَ تَقَطُّعِ أوْصالِهِمْ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ذَرَأَكُمْ﴾: (ذرأ) أصْلانِ؛ أحَدُهُما لَوْنٌ إلَى البَياضِ، والآخَرُ كالشَّيْءِ يُبْذَرُ ويُزْرَعُ[3]، ذَرَأَ يَذْرَأُ ذَرْءًا، يقال: ذَرَأَ اللّهُ الخَلْقَ يَذرَؤهم، أي: أوجدَ أشخاصَهم، قال اللّهُ تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشّورى: 11]، والذَّرْءُ: إظهارُ اللّهِ تعالى ما أبْداه، قالَ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: 179][4]، وقولُه تعالى: ﴿ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بَثَّكم فيها كما تُبَثُّ الحبوبُ لتنبت[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

اللهُ الَّذي بَثَّ الخلقَ في الدُّنيا، وهو الَّذي يجمعُهم في الآخِرة

أخبرَ اللّهُ تعالى عن قدرتِه العظيمةِ وسُلطانِه القاهرِ في بَرْئِه الخَليقة، وذَرْئِه لهم في سائرِ أقطارِ الأرض على اخْتلافِ أجناسِهم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 173.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذرأ).
(4) الرّاغب، المفردات: (ذرأ).
(5) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 672.

ولُغاتِهم وصفاتِهم، ثمَّ يوم القيامةِ يجمعُ الأوَّلينَ منهم والآخِرينَ لميقاتِ يومٍ معلوم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل بالواو في الآية:

كـلُّ نعـمة من نعم الله تعالى دالّة على وحدانيّته

في قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ عبّر بالعطف على طريق الوصل للاشتراك في الجهة الجامعة بين الجملتين، فالآية السابقة ذكرت نعمة الإنشاء في الأرضِ وهذه الآية ذكرت نعمة الإيجادِ والحَياةِ وتَيْسيرِ التَّمَكُّنِ مِنَ الأَرْضِ وإكْثارِ النَّوْعِ[2]، وكلُّ واحدةٍ منهما دليل على توحيد الله تعالى وانفرادِه بالعبوديّة، كما أنَّ الجملتين خبريَّتان، فجاء الكلام من عطف الخبر على الخبر.

فائدة التّعبير بالضّمير (هوَ):

التّذكير بنعم الله وآلائه المتعدّدة عظةٌ للمؤمنين وتنبيه للكافرين

لمّا كان الضّمير عائدًا على الله تعالى بما اتّصف به في الآية السّابقة في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾؛ أفاد في هذه الآية ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أنَّ المنعم عليكم بالسَّمع والبصر والأفئدة هو ذاتُه الذي ذرأكم فيها، ليفيد تعدّد النّعم التي أنعم الله بها على النّاس.

بلاغة القصر في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

الذي ذرأ الخلق وبثّهم هو المعبود الحقُّ

لمّا جاء المسند والمسند إليه معرفتين أفاد التّركيب قصر الذّرء في الأرضِ على الله تعالى، وفيه قصر الإفراد كسابقِه، فإنَّ مَنْ يشركُ بالله تعالى كان كمن يعتقد قيام الشّريك بخلقِ الخلق وبثِّهم، إشعارًا بأنَّ الذي ذرأ الخلقَ هو المعبودُ، والمعنى هو وحده الذي خلقكُم وكثَّركُم في الأرضِ، ويحتمل أن يكون من قصر القلب والمعنى هو الذي خلقكم وكثَّركم في الأرضِ لا غيره.

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/ 238.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.

سبب إيثار مجيء المسند اسما موصولا:

عبّرَ بالاسم الموصول وصلتِه في قولِه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ﴾ للإشعار بأنَّ الصّلة معلومة الانتساب عند المخاطبين وأنَّها من الظّهور بحيث لا يمكن إنكار أنَّه تعالى هو وحده الذي ذرأكم في الأرض، بمعنى تفرّدِه بالذّرءِ ﷻ، كما أنَّ الصّلة هي موطن العظة والعبرة، ففي التّعبير بالموصول وصلتِه تعجيبٌ من إشراكِهم باللّه تعالى مع ظهور وحدانيّتِه وتوبيخهم عليه.

التّعجيب من الإشراك بالله تعالى مع ظهور أنَّه هو الذي ذرأ الخلق في الأرض

نكتة التّعبير بلفظ ﴿ذَرَأَكُمۡ﴾:

عبّر بلفظ ﴿ذَرَأَكُمۡ﴾ لإفادة ثلاثة معانٍ: أحدها أنَّه تعالى خَلَقَكُمۡ في الأرضِ، والثاني أنَّه تعالى بثَّكم وبَسَطَكُمۡ فيها ذُرِّيَّةً بَعۡضُكُمۡ مِنۢ بَعۡضٍ حَتَّى كَثُرۡتُمۡ وانتشرتم، والثالث تيسير التّمكّن في الأرضِ والقرارِ فيها، أي هو الذي خلقَكم وجعلكم متناسلين منتشرين قارّين في الأرضِ متمكّنين فيها[1]، ففي التّعبير بهذا اللفظ تذكير بنعمٍ كثيرةٍ.

الـــذّرء يفيد معنى الخلق والبثّ في الأرض وتيسير القرار فيها بعد الخلق والتّناسل

فائدة ذكر ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾:

ذكر الجارّ والمجرور الدّال على تعلّق ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ بـ﴿ذَرَأَكُمۡ﴾ ليكونَ إشارةً إلى أنَّ الانتشار وتيسير الحياةِ في عموم الأرض كلِّها، وأنَّه تعالى بثَّنا فيها، وأنَّه إليها نعود[2]، وفيه كذلك التّنبيه على أنَّ هذه النعم هي من المعلوم الذي لا ينكره إلّا جاحد؛ لأنها منتشرة في الأرض التي يعيش عليها الخلق ويعرفون ما فيها من نعم اللّه تعالى والدلائل على توحيده.

الذّرء في الأرض يفيد بلازمِه عموم النّعم فيها

بلاغة الكناية في قوله ﴿ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾:

لمّا كان الذرء في الأرضِ يفيد معنى الخلقِ والتّناسل والانتشار فيها

الذّرء في الأرض يفيد بلازمِه عموم النّعم فيها

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 153، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 289.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5140.

أفاد بلازمِه عمومَ النِّعَم في الأرضِ؛ لأنَّ الذّرْء في الأرض يقتضي بلازمِه انتشار النّعم فيها التي تغذّي السّمع والأبصار والأفئدة التي بها قوام النّاس ومعيشتُهم وديمومة حياتِهم في الأرضِ.

فائدة العطف في قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

الذي ذَرَأ الخلقَ في الأرض هو القادر على حشرهم وحسابهم

لَمّا كانَتِ القُدْرَةُ عَلَى الخَلْقِ ابْتِداءً توجِبُ القُدْرَةَ عَلَى الإعادَةِ، وكان السياق في بيان نعم الله تعالى والاستدلال بها على توحيده كان لابدَّ من تخويفِهم بالتّصريح بما تضمّنه ذرأ الخلقِ، فذكر الحشر المستلزم للحساب؛ ليجزيَ كلًّا بعملِه، لتجمع الآية بين التّرغيب والتّرهيب، فكانت الجهة الجامعة بين الجملتين ظاهرةً كما أنَّ الجملتين خبريّتان، فجاءت الجملة معطوفةً فقال ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

دلالة قولِه ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

الحشر إلى الله إيذانٌ بأنَّ الجزاء عنده سبحانه

لّما كان المقصود من الحشر هو حصول الجزاء من الله تعالى على أعمالِهم وحسابِهم عليها عبِّر هنا بالغاية من الحشرِ، فجعل حشرَهم إلى ذلك الموضع حشرًا إليه ﷻ باعتبار أنَّ الجزاء عند الله تعالى، وهذا هو الظّاهر، وفيه تخويف وترهيب من عدم الشّكر على النّعم، وقد يكون الكلام على تقدير مضاف، أي إلى حكمه وقضائه تحشرون[1].

مناسبة التّعبير بقوله ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

مناسبة ختامِ الآية لأوّلها

التّعبير بـ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ مناسبٌ لذكر صدر الكلام في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، والمعنى منه بدأ خلقكم وإليه مرجعكم، ولو قيل (وإلى أرضِ المحشر تحشرون) لما كان مناسبًا لسياق الكلام ولا سباقِه، وبهذا يكون ختام الآية قد ارتبط بأوّلها مع وجازة اللفظ.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 153، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 289، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 580.

فائدة تقديم ﴿وَإِلَيْهِ﴾ على ﴿تُحْشَرُونَ﴾:

لا ينفع المشركين أحد يوم الحشر إلى الله

يفيد تقديم الجار والمجرور التّخصيص، بمعنى إليه وحده تحشرون لا إلى غيره، فلا يكون معكم شيء مما تدعون من دونه[1]، فكما أنَّه هو الذي ذرأكم في الأرض لا غيره، فإنّكم إليه وحده تحشرون لا إلى غيرِه، ففي التقديم إبطالٌ للإشراكِ كذلك، مع ما في تأخير ﴿تُحْشَرُونَ﴾ من رعاية للفاصلة.

بلاغة التّعريض في قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾:

التّعجيب من إشراكِ المشركين مع أنَّهم يحشرون إلى الله وحده

في قولِه ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تَعْريضٌ بتهديد المشركين بِأَنَّهُمْ مَحْشورونَ إِلَى اللّهِ فهوَ يجازيهم، فكيف يتخذون من دونه شركاء لن ينفعوهم في ذلك اليوم بشيء، بل سيتبرؤون منهم ويكونون عليهم ضدًّا، وفيه كذلك تعجيب من حالِهم فما لكُم لا تُؤمنون به ولا تَشكرونَهُ[2].

بديع الطباق بين ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ و﴿تُحْشَرُونَ﴾:

مناسبة الذّرء الذي هو بمعنى البثِّ والتّفريق للحشرِ الذي هو بمعنى الجمع

لمّا ذكر الذرءَ الذي هو بمعنى البثِّ والتفريق ومنه ذرأ الزّرع في الأرضِ ناسبَ مقابلته بِضِدِّهِ وهوَ الحَشْر الذي هو بمعنى الجَمْعِ بعد التّفريق[3]، فإنَّ الحَشْرَ يَجْمَعُ كُلَّ مَنْ كانَ عَلَى الأَرْضِ مِنَ البَشَرِ غير متفرّقين، كما أنَّه لمّا كان الذّرءُ يفيد الكثرةَ والدقَّة ناسب مقابلته بالحشرِ الذي يفيد جمع ما دقَّ وما عظمَ، ففي الكلام مُحَسِّنُ الطِّباقِ، والمَقْصودُ مِنْ هَذِهِ المُقابَلَةِ الرَّدُّ عَلَى مُنْكِري البَعْثِ بأنَّهم إليه تعالى يحشرون يوم القيامة[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخلق والذّرء:

الفرق بينهما هو أنَّ الخلق هو الإيجاد من العدم وأمّا الذرء فهو

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5140.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 147، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 211.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.

الـخـلـق هـو الإيـجـاد مـن الـعـدم والـذّرء هـو الإظـهـار والبثُّ والتّكثير

الإظهار والبثُّ والتّكثير، وفيه معنى الانتشار، فالتّعبير بالذّرءِ يدلُّ على أنَّه تعالى خلقهم وبثَّهم في الأرضِ ليتناسلوا وينتشروا فيها ويسّر لهم القرارَ والتّمكين فيها[1].

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب (ذرأ)، وأبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 138.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»